لمحة عن الفن في العصر الاكدي والعصور التالية :

استمر تطور الفنون ومنها موضوع بحثنا فن النحت في العصور التاريخية التي اعقبت عصر السلالات . ومع ان الفن في هذه العصور استمد اصوله وروحه من فن عصر السلالات بيد انه لم يبق فنا جامدا بل عمل فنانو العراق القديم على تطويره وادخال عناصر فنية .ونزعات واساليب فنيه جديدة ويتجلى ذلك فيما جاء الينا من نماذج من فن النحت في العصر الاكدي الذي اعقب عصر السلالات ونشاهد منها التمثيل الحيوي المتسم بالقوة الانطلاق من القيود الدينية التي لاحظناها في تمثيل الاشخاص والالهة في العصر السابق . ولعل ابلغ الامثلة على ذلك القطعة الفنية الفريدة التي تعرف باسم « نصب النصر Stele of the Victory العائد للملك الاكدي الشهير « نرام سين » حفيد سرجون مؤسس السلالة الاكدية وتعتبر هذه القطعة الفنية من اروع النماذج لفن النحت البارز Relief ويتجلى فيها التحرر من قيود الفن السابقة ومحاولة الفنان تمثيل المشاهد تمثيلا واقعيا بحسب قربها اوبعدها من المشاهد ، وهوما يعرف في تاريخ الفن بالمنظور Perspective وقد عثر على هذه المسلة او النصب في مدينة « سوسة » (عاصمة بلاد عيلام) حيث كانت من بين الغنائم التي اخذها العيلاميون في نهاية العصر الكشي .ويمثل هذا النصب الموجود في متحف اللوفر بباريس بتعبير قوى انتصار الملك « نرام سين » على الاقوام الجبلية المعروفين باسم اللولوبو في منطقة شهرزور.وقد برز شخص الملك وفي رأسه الخوذة الحربية ذات القرنين ويتكرر هذا المشهد بشيء من التحوير في المنحوتات

Scanned by CamScanner

الجبلية التي نقشها الملك في وجه احدى المجازات الجبلية في جبال قره‌داغ في العراق وهو المجاز المعروف باسم « دربندي كاوور » (الى الجنوب الشرقي من المجاز المسمى دربندي بازيان الذي يمر به المسافرون من كركوك الى السليمانية من بعد خلبجة) ويشاهد فيها الملك وهو كذلك لابس الخوذة الحربية ذات القرنين ويدوس على جثث القتلى والاسرى الممثلين عند قدميه وقد بولغ بحجم الملك .

وخلف لنا ذلك الفاتح الشهير ايضا منحوتا بمشاهد تمثل مشاهد حربية منها ما عثر عليه في منطقة ديار بكر (وهو الآن في متحف اللوفر بباريس) . ومن القطع الفنية التي يجدر التنويه بها من العصر الاكدي الرأس المسبوك من النحاس او البرونز الذي عثر عليه في نينوى ويرجح انه يمثل الملك نرام ـ سين اوجده سرجون وهو الآن من بين الكنوز الاثرية المعروضة في المتحف العراقي .

ومن بعد فترة حكم الكوتيين المظلمة الذين قضوا على السلالة الاكدية قامت سلالة سومرية جديدة في لجش واشهر ملوكها او حكامها « كودية » الشهير ، وتميزت هذه الفترة بانتعاش حضاري ملحوظ في الادب السومري كما تدل على ذلك النصوص الادبية التي خلفها لنا كودية نفسه ، وحصل مثل هذا الانتعاش والازدهار في فن النحت ولا سيما النحت المجسم كما يتجلى ذلك في التماثيل المتعددة التي تمثل كودية نفسه ومظمها تمثل الملك وهو قاعد وعلى رجليه لوح مكتوب باللغة السومرية وتمثال لابنه « اور ـ تنحرسو ». ويوجد عدد مهم من هذه التماثيل في متحف اللوفر وفي المتجف العراقي نماذج منها ، وكلها تشير الى قوة التعبير الفني عن الملامح السخصية .

ومع انه لم يأت الينا بعد نماذج كثيرة عن النحت في عهد سلالة اور الثالثة التي اعقبت عصر كودية السالف الذكر الا انه يمكن القول ان الفنون بوجه عام ولا سيما فن العمارة قد قطع اشواطا كثيرة في التقدم كما مر بنا في كلامنا عن الزقورات ومنها زقورة اور الشهيرة . ومن الآثار الفنية المنحوتة القليلة التي عثر عليها قطعة كبيرة من الحجر منحوتة بمشهد طريف يمثل باسلوب ديناميكي متحرك تسلم مؤسس السلالة « اور ـ نمو » أمر الاله «سين» في تشييد زقورة اور واذا ماتفحص الطالب في النسخة الموجودة لهذه القطعة الفنية في المتحف العراقي لاحظ فيها كما قلنا براعة فنية جديدة وهي

Scanned by CamScanner

الحركة على مرحلتين ، ففي المرحلة الاولى التي يمثلها المشهد المنحوت بالنحت البارز في اعلى المسلة يشاهد الاله وهو جالس على عرشه وامامه الملك وهو يسكب الماء المقدس ويتسلم منه الاوامر لتشييد معبده العالي (الزقورة) ، ويمثل الحقل الاسفل المرحلة الثانية من العملية وقد تسلم الملك الامر الالهي وتسلم من الاله ادوات البناء كالخيط والفأس والشاقول وقد مثل وهو سائر في طريق تنفيذه أمر الاله بتشييد الزقورة .

وعند انتقالنا من عصر سلالة اور الثالثة الى العصر البابلي القديم الذي اعقبه نجد نوعا من الاستمرار في الفن بوجه عام وفن التحت بوجه خاص ، رغم انه لم يأت الينا من هذا العصر الجديد نماذج كثيرة لفن النحت ولعله يمكن تفسير ذلك بصدفة الاكتشاف . ومن الامثلة القليلة التي يرجع عهدها الى العصر البابلي القديم رأس تمثال منحوت من الحجر الاسود يرجع انه رأس الملك حمورابي سادس سادس ملوك سلالة بابل (١٧٩٢-١٧٥٠ ق . م) فهو يشبه شكله الممثل بالنحت البارز في المسلة التي دون بها شريعته الشهيرة التي يمكن اعتبارها من الامثلة القليلة على فن النحت البارز من زمن سلالة بابل الاولى ، فقد دونت الشريعة بنقشها بالخط المسماري على مسلة من الحجر الاسود الصلد (حجر الديوريت) ويبلغ ارتفاعها زهاء (٨) قدام وقطرها قدمين ، وقد نقش في اعلى المسلة بالنحت البارز صورة تمثل على ما يرجع الايه شمس الذي عده العراقيون القدماء اله العبدل والشرائع وهو جالس على عرشه وصور حمورابي واقفا امامه بهيئة الصلوة والتعبد وهو يستلم القوانين المقدمة من الاله .

والى ان تكتشف امثلة اخرى اكثر عن فن امتنحت في العصر البابلي القديم فلا نستطيع ان نضيف اشياء اخرى الى تلك الملاحظة سوى انهابدلا من المنحوتات الحجرية اشتهر هذا العصر بما جاء الينا منه من عشرات بل مئات الالوف من الصور الطينية التي تمثل الاشخاص والالهة ومشاهد دينية مختلفة ،وبعضها مشاهد خلاعية جنسية ، والملاحظة الثانية عن الفنون في هذا العصر ما حصل في فن العمارة من

Scanned by CamScanner

تطور محسوس ولا سيما في بناء المعابد والقصور ، ولكن القصر والاعتناء ببنائه طغت على المعابد حتى ان بعض القصور التي شيدت في هذا العصر بلغت من السعة وكثرة المرافق بحيث اصبحت اقرب ما تكون الى المدينة ، والمثال على ذلك القصر الذي اكتشفه المنقبون الفرنسيون في مدينة «مارى» (تل الحريري) الذي شيده ملكها المسمى « زمرى – ليم » . فان مساحته تبلغ زهاء ٧ اكيرات (اي نحو ٠٠٠ / ٢٨ . مترا مربعا باعتبار ان الابكر الواحد يساوي ٤٠٠٠ م٢) ، وبلغ سمك جدرانه الخارجية معدل ٤٠ قدما ، وبلغ عدد غرفه وحجراته الداخلية اكثر من ثلثمائة حجرة وقد زينت بعض اجزائه بالزخارف والالوان .

ان الملاحظات التي ذكرناها عن قلة ما وجد من امثلة على النحت من العصر البابلي القديم تصدق كذلك على الادوار التاريخية التالية باستثناء النحت الآشوري الذي سنتناوله في موضوع خاص . فمما يقال عن السلالة الكشية التي اعقبت سلالة بابل الاولى ان الكشيين ساروا على المآثر والاطرزة الفنية القديمة ، وتأثروا بالاضافة الى ذلك بفنون بعض الاقطار المجاورة كالحشيين والمصريين في العصر المسمى في تاريخ مصر بعصر العمارنة (القرن الرابع عشر) ومما لا شك فيه ان فن النحت استمر في الممارسة ولكن صدفة الاكشاف جعلتنا لا نعرف عنه الشيء الكثير . فمن الامثلة القليلة التي عثر عليها في الوركاء مسلة من الحجر منحوتة وتمثل الالهة عشتار وجدت في المعبد الذي شيده احد الملوك الكشيين « المسمى نازى – مرتاش

كل آجرة تمثل جزءا من الشكل وقد عم بطريقة القالب الخاص بكل آجرة وهي لبنة ثم تفخر وتجمع مع غيرها ويتألف منها الاسكال التي اشرنا اليها . وقد استمر هذا الاسلوب من الزخارف المعمارية الجميلة الى العصر البابلي الحديث (عصر نبوخذ نصر) ، حيث تطورت تلك الزخارف من مجرد اشكال ناتئة من الآجر الاعتيادي الى آجر ملون مزجج او مطلي بالميناء ، وخير مثال على ذلك جزء من شارع الموكب وباب عشتار في بابل كما سنشير الى ذلك مرة اخرى في ملاحظتنا عن الفن في العصر البابلي الحديث ويبدو من التحريات الحديثة ان الكشيين ايضا استعملوا لتزويق قصورهم ومعابدهم تلوين جدرانها بالالوان والاشكال المختلفة .

Scanned by CamScanner

ويرجع الى العهد الكشي ايضا نوع من النحت البارز مارسه الفنانون فيما يسمى باحجار الحدود وفي البابلية (كدورو) وهي من العناصر الحضارية الجديدة التي ظهرت لاول مرة وبكثرة في هذا العصر ، وكانت في وظيفتها عبارة عن سجلات بالاراضي والاملاك الزراعية ولا سيما الاراضي التي يقطعها الملك الى اتباعه . اما من ناحية موضوعنا فانها عبارة عن احجار مخروطية في الغالب ويخصص القسم الاعلى من الحجر لتمثيل بعض الاشكال والرموز تنحت بالنحت البارز ، وتتضمن في الغالب رموز الالهة وفي بعض الاحايين الحيوانات المقدسة العائدة لها . فكان قرص الشمس مثلا رمزا للاله « شمش » والهلال رمز اله القمر « سين » والفأس والمحراث رمز الاله « مردوخ » والنجمة رمز الاله عشتار ، ثم يأتي من بعد نص هذه الصور في وجه المسلة وفي ظهرها النص المسماري وفيه يذكر الملك الذي اقطع الارض وتحديد هذه الارض واسماء الشهود الى غيرها من اساليب العقود المؤقتة .

وننهي هذه الملاحظات عن الفن البابلي في العصر البابلي الحديث ولا سيما في عهد الدولة الكلدانية (٦٢٧ - ٥٣٩ ق.م) ، وخير ما يمثل هذا الفن البقايا الأثرية المختلفة التي كشفت عنها التنقيبات الالمانية في مدينة بابل (١٨٩٩ - ١٩١٧) التي قلنا بانها كانت فاتحة الطور العلمي في اساليب التنقيبات المنتظمة . فان القسم الاغلب من الابنية الضخمة التي كشفت عنها تلك التنقيبات ترجع في زمنها الى العهد البابلي الاخير ولا سيما من زمن الملك البابلي الشهير نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) الذي مكنه حكمه الطويل (زهاء ٤٣ عاما) من تشييد اضخم قصور في التاريخ ، وان ما يشاهده الزائر الآن من بقايا أثرية في مدينة بابل يرجع القسم الاعظم منها الى ذلك الملك بالدرجة الاولى وعهد ابيه وخلفائه . ومن ناحية تاريخ الفن يمكن القول ان فن العمارة كما يتجلى ذلك في تشييد القصور الضخمة والاسوار وخطط المدن قد بلغ اوجه تطوره . واصبحت مدينة بابل في عهد هذا الملك اكبر مدن العالم القديم واصبحت في نظر المؤرخين والكتاب القدماء كاليونان وكتب التوراة لا تضاهيها في عظمتها وسعتها مدينة اخرى في العالم . فقد بلغ محيط المدينة زهاء ١٨ كم ومساحتها ٢٥٠٠ ايكر (والايكر الواحد يساوي ٤٠٠٠ م٢) ، وبالمقارنة معها بلغت

Scanned by CamScanner

محيط مدينة نينوى في اكبر اتساع لها زهاء ١٨٥٠ ايكر ومحيطها ٩ كيلومترات ومساحة مدينة اثينا في اكبر اتساع لها لم تتجاوز ٥٥٠ ايكرا ، وعدت اسوار بابل وجنائنها المعلقة من عجائب الدنيا السبع(١) واعتبر الفيلسوف اليوناني الشهير ارسطو (القرن الرابع ق.م) مدينة بابل نفسها اعجوبة في سعتها وعظمتها . فمن عجائب الفن المعماري في بابل اسوار المدينة التي جعلها نبوخذ نصر السالف الذكر سورين باضافة سور خارجي لها والمسافة ما بين السورين زهاء كيلومترين ، وقد خصص الفراغ ما بين السورين الى ضواحي المدينة والبيوت الريفية وبساتين النخيل والاثمار . ويوجد في الزاوية الشمالية القريبة من السور الخارجي احد قصور نبوخذ نصر الضخمة هو الذي اطلق عليه المنقبون اسم القصر الصيفي ، كما شيد ما بين السورين بناية المعبد الخاص بأعياد رأس السنة البابلية الذي سماه البابليون « بين اكيتو »

ويستنتج من نتائج التنقيبات الواسعة ومن النصوص المسمارية المتعلقة بوصف المدينة وطبوغرافيتها ان السور الخارجي كان يتألف من ثلاثة جدران ضخمة ، والسور الداخلي يتألف من جدارين ضخمين تتخللهما ابراج للدفاع ، ويقسم هذا السور قصور المدينة الى قسمين ، فالى الشمال القصر الشمالي بمحاذاة باب عشتار الى الشمال ويلي هذا الباب الى الجنوب القصر الجنوبي ، وكان كل من هذين القصرين مدينة صغيرة في سعتها وكثرة مرافقها وضخامة جدرانها وساحاتها وهما تمثلان كما ذكرنا ذروة الابداع الذي بلغته حضارة وادي الرافدين في فن العمارة .

وقد صممت المدينة الداخلية مستطيلة الشكل تقريبا اي التي داخل السور وخططت تخطيطا منتظما ، وورد ذكر ثمانية شوارع كبرى في داخل المدينة ولها

The Seven Wonders of the World

(١) عجائب الدنيا السبع

مصطلح اطلقه الكتاب القدماء من اليونان والرومان على مجموعة من الابنية التذكارية الضخمة اشهرها ماذكره الشاعر اليوناني الصبدادي « انتيباتر » (القرن الثاني ق.م) وهي (١) اهرام مصر (٢) منار اونفار الاسكندرية (٣) اسوار بابل وجنائنها المعلقة (٤) معبد الالهة « ارطميس » (Artemis) (ديانا) في مدينة « أمسنس » (آسيا الصغرى) (٥) (٥) تمثال الاله « ريوس » الضخم للنحات اليوناني الشهير فيدياس (٦) الضريح الضخم (موزليوم) لاحد ملوك آسيا الصغرى (القرن الرابع ق.م) (٧) التمثال الضخم في جزيرة رودروس .

Scanned by CamScanner

ثماني بوابات كبرى ، وهناك شوارع اصغر منها يبلغ عددها نحو (٢٤) شارعا في النصوص المسمارية ، كما ذكرت للمدينة ثلاثة جسور على نهر الفرات الذي كان يمر بمحاذاة المدينة حيث يوجد في الجانب الغربي من النهر ما يسمى بالمدينة الحديثة . وسميت كل من البوابات الرئيسية باسم خاص معظمها مأخوذة من اسماء الالهة الرئيسية . وسميت في اللغة البابلية بجمل مطولة مثل بوابة الاله ادد وبوابة الاله مردوخ ، وقد جرى التنقيب في احدى هذه البوابات وهي بوابة عشتار واسمها في اللغة البابلية « عشتار شاكبة تبيشا » Ishtar Shakipat Tebisha . اي « عشتار قاهر اعدائها » ويمر منها احد شوارع المدينة الرئيسية التي اطلق عليها المنقبون اسم شارع الموكب Street Procession الذي اشتهر بزخارفه الجدارية المعمولة من قطع الآجر حيث تبدأ الزخرفة بالقرب من بوابة عشتار الضخمة المكونة من مدخلين اي انها كانت بوابة مزدوجة ، حيث يمر منها موكب الاعياد الخاصة برأس السنة البابلية وكانت الاحتفالات تقام في معبد خاص خارج السور الداخلي وهو المعبد الذي ذكرناه باسم « بيت آكيتو » .ويشاهد الزائر الآن بعض البقايا من شارع الموكب وبـــاب عشتار المزينة جدرانها باشكال الحيوانات المصنوعة من قطع الآجر وكان هذا الجزء الذي نشاهده الآن مدفونا حيث دفنه نبوخذ نصر واقام فوقه من المستوى الحالي للشارع بوابة جديدة تتميز بان الحيوانات التي تزينها معمولة من الآجر المزجج بالوان جميلة مختلفة ، وقد جمعت بعثة التنقيبات الالمانية قطع .لآجر المزجج المتساقطة التي كانت تزين جدران البوابة وركبت الباب بحجمها الكامل وهي الآن معروضة في متحف برلين وتعد من اجمل واعجب الآثار روضة ، واجمل ما فيها صور الحيوانات الملونة بالوان زاهية منها الحمراء والبيضاء على ارضيات زرقاء وابرز الحيوانات الممثلة فيها الثيران المزججة (رمز الاله ادد) واشكال التنين الخرافي رمز الاله مردوخ والاسد رمز الالهة عشتار وتشاهد الآن مثل هذه الاشكال في باب عشتار في بابل ولكنها غير ملونة وتمثل دورا قديما من ادوار البناء في باب عشتار ، كما يشاهد الزائر نموذجا مصغرا لباب عشتار (نصف الحجم الاصلي) وقد اقامته مديرية الآثار العامة في المدخل الى حديقة بابل حيث اول ما يشاهده الزائر . ويكاد يكون من المؤكد ان هذا النوع من

Scanned by CamScanner

زخرفة الابنية بالآجر الذي يمثل الاشكال المختلفة والمكونة من اجزاء كل جزء يعمل بالقالب في الآجر ورثه البابليون في العهد البابلي الحديث من الكشيين وان فن تزجج الآجر الذي شاع في هذا العهد يرجع في اصله الى الفن الآشوري وهو ما سنذكره بحث موضوع خاص . وبذلك ننهي هذا الوصف الموجز لفن حضارة وادي الرافدين في العصور المتأخرة بالتنويه باسد منحوت من حجر البازلت الاسود واشتهر باسد بابل وهو يقع الآن في قسم خاص من قصر نبوخذ نصر الشمالي اي القصر الواقع بمحاذاة باب عشتار الى الشمال وقد عثر المنقبون في الموضع الذي اقيم فيه هذا الاسد على عدد من الآثار والمنحوتات تتراوح عهودها من منتصف الالف الثاني ق . م ، وقد فسر هذا القسم من القصر بان الملك نبوخذ نصر جعل منه ما يصيح ان نسميه متحفا لحفظ الآثار التي كان يحصل عليها كغنائم حربية من فتوحاته الخارجية ، كأسد بابل فأنه منحوت من قطعة واحدة من حجر البازلت ويمثل اسد بابل وهو رابض على انسان ولكن رأسه مفقود ولا يعلم متى كسر كما لا يعرف بوجه التأكيد تاريخ هذا النحت وهل يعود الى عهد نبوخذ نصر نفسه او انه من جملة الغنائم التي جلبها من الخارج كما اختلف في تفسير مغزى النحت ومن التفسيرات التي قيلت انه يرمز الى نصر بابل على الاعداء .

ومن الالغاز التاريخية التي يجدر التنويه بها في ختام كلامنا على الفن البابلي ما اطلق عليه مصطلح « الجنائن » (Hanging Gardens) التي سبق ان ذكرنا انها عدت مع اسوار بابل من عجائب الدنيا السبع فلا يعلم موقعها الآن من بابل كما نجهل كيفية بنائها فلم يرد شيء عنها في المصادر المسمارية ، ويقتصر ذكرها على ما جاء في كتابات الكتاب والمؤرخين من اليونان والرومان . ولكن الغريب في الامر ان المؤرخ اليوناني الشهير « هيرودتس (القرن الخامس ق . م) الذي كان اقدم من وصف مدينة بابل باسهاب لم يذكر شيئا عن هذه الجنائن المعلقة ، واقدم من ذكرها المؤرخ البابلي « بيروسس » (Berosus) القرن الثالث ق . م) الذي قلنا انه الف في تاريخ بلاد بابل باللغة اليونانية منذ الخليقة الى زمن الاسكندر ولكنه فقد كتابه الاصلي وتقتصر معلوماتنا به على الاقتباسات الكثيرة التي اخذها من كتابه المؤرخون اليونان ويأتي من بعده من ذكر الجنائن المعلقة المؤرخ « سترابو » (٦٤ ق . م – ١٩ م)

Scanned by CamScanner

بالمصطلح اليوناني (Krematos Kerepos) وهو اصل ترجمتها في اللغات الاوربية بالجنائن المعلقة ، وسماها الكاتب الروماني « كوربيوس » روفس (القرن الاول الميلادي) بالمصطلح اللاتيني المضاهي وهو (PenstiLeS. Horti) ودعاها المؤرخ اليهودي جوزيفس (القرن الاول الميلادي بمصطلح آخر هو Pensile Paradise اما المنقبون الالمان فقداعتقدوا انهم عثروا على هذه الجنائن في تنقيباتهم في بابل وانها تقع الآن في الركن الشمالي الشرقي من قصر نبوخذ نصر الجنوبي حيث عثر على بناية غريبة التخطيط قوامها مستطيل غير منتظم (٤٢ × ٣٠ م) وهو اوطأ في مستواه عن مستوى ارضية القصر ، ويتألف هذا المستطيل من حجرات صغيرة (معدل مساحة الواحدة منها ٢ / ٢ × ٣ م) وهي تنتظم في صفين على جانبي ممر ضيق (Corridor) وعثر في احدى الحجرات الوسطى على بئر مكونة من ثلاث حفر او آبار الواحدة لصق الاخرى ، وقد فسرها المنقبون بانه كانت لرفع المياه منها بواسطة دولاب الى سطح بناء معقود شيد فوق هذا البناء او السرداب الارضي المعقود حيث غرست بالاشجار والاوراد وان نبوخذ نصر شيدها لزوجته الفارسية الميدية المسماة « اميتس » . اما البناء السفلي المعقود والمتصل بالقصر فيحتمل انه كان يستعمل على هيئة سراديب لخزن خمور القصر .

وحصلت تطورات مهمة في فن حضارة وادي الرافدين من بعد الفتح الفارسي لبابل (٥٣٩ ق ، م) ودخول العراق تحت سيطرة الفرس الاخمينيين ثم تحت سلطة اليونان السلوقيين ، من جراء التأثيرات الحضارية المتبادلة ما بين حضارة وادي الرافدين والثقافات الاجنبية الجديدة ، فقد اقتبست هذه الثقافات اشياء كثيرة من علومها ومعارفها وآدابها وفنونها ، ويمكن درس هذه التاثيرات المتبادلة في حقل الفن الذي يشاهد فيه في فروعه المختلفة مثل النحت والبناء وصنع دمى الطين (Terra Cotta Figurines) المسحة الاغريقية ممزوجة بالاساليب البابلية القديمة كما يظهر ذلك جليا في الاثار التي عثر عليها في سلوقية (تل عمر الآن على ضفة دجلة الغربي مقابل طاق كسرى اي موقع طيسفون) . ويمكن درس هذه التأثيرات ايضا في فن المنحوتات الجميلة التي عثر على المئات منها في مدينة الحضر العربية وفيها المسحة اليونانية – الرومانية مع الاساليب الآشورية .

Scanned by CamScanner